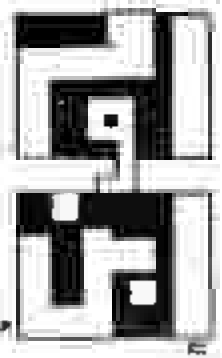

# قصة من اليابان

بقلم : جوران هياو

ترجمة : خديجة برادة

استدعى المدرس المسئول عن الفصول الصغرى في المدرسة المتوسطة المجاورة للقاعدة الامريكية في اتوجى الى مركز الشرطة .

ودخل الضابط القضائي الحجرة التي كان ينتظر بها المدرس وبصحبته ضابطة من البوليس العسكري . لاحظ المدرس ان عينيها متوقدتان .

« أسف لازعاجك » قالها الضابط القضائي ثم قدم ضابطة البوليس العسكري قائلا : « انها المسئولة عن مكتب رعاية الاحداث هنا » . ثم جلس في المقعد المقابل لمقعد المدرس الذي كان مشغلا وقتئذ بتأمل زهور الميكانت تلهو بها الرياح .

« ان مركز الشرطة هنا اتلقى اخبارا وليس عندنا قسم للاحداث لذلك فقد طلبت منها ان تساعدنا .. اننا لانريد ان نزيد من خطورة الامر اكثر مما هو . . . فهون عليك » .

وقالت الضابطة بدورها . « اننا كما قال حضرة الضابط لا نريد ان نثير اشكالا حول هذا الموضوع انهما مجرد مصادفة معينة ان كان للجيش الامريكي ممتلكات في ذلك المحيا المهجور . ولكن الفتى احد كذلك كتلة خشبية من مخلفات البحرية . غير ان مجرد اشعال النار في محيا مهجور لايمكن اعتباره جريمة حريق عمد .. ان كل ما نطلبه هو تفسير .. اي تفسير .. لعبة تقليد اصحاب العصابات مثلا . اشعال نار مصسكر او اي شيء . اننا نريد فقط ان نستوفي السجلات .. لكن الفتى لايريد ان يتكلم وقد اوقعنا ذلك في حيرة .

وقال الضابط .. اننا لانريد ان نحتجزه هنا اكثر من ذلك لكننا ايضا لا نستطيع ان نفرج عنه لاننا لم نتمكن من استيفاء الأوراق وقد استدعيناك لانك مدرس الفصل ويمكنك ان تقول لنا شيئا عما تعلمه عن شخصيته وحياته العائلية الى آخره .. فتتمكن بذلك من كتابة تقرير على اساس ماتمثل به انت من معلومات .

وانحنى المدرس في ادب وقال . « لابد لي ان اشكركم لما تكبدتم من مشاق في سبيل العلام » .

وفتحت الضابطة ملفا وقالت « اسمح

لى اذن ان ببدأ ـ تاروا يرومي سنة عشر عاما وشهرين . ولد في سابان . فصل «ه» في السنة الاولى من القسم المتوسط بمدرسة سانت جوزيف . . حاصل على منحة ادامز . والده اخصائي في الارصاد الجوية وكان يعمل في المكتب الاداري الياباني في سابان مات في عام ١٩٤٠ .. الام تعمل في شركة « تايو كوهاتسو » والمرجح انها ماتت اثناء الغزو الامريكي للجزيرة ـ اما عن الولد نفسه فكيف تعلل بقاءه في السنة الاولى ؟ لاشك انه متاخر في الدراسة بالنسبة لسنه » .

واجاب المدرس بتحفظ « لقد أخذ الولد مع مجموعة من يتامى الحرب الى هاواى في السنة الاخيرة منها . وقد اهتم بهم بعض الافراد فبعثوا بتشارو ايرومي الى مدرسة في مستوى مدارسنا الابتدائية وقد مكث هناك طيلة ست سنوات ثم اعيد الى اليابان والحق بمدرسة سانت جوزيف . وكان المفروض أن ينضم الى الفصل الثالث لكن معلوماته في اللغة اليابانية مازالت ضعيفة » .

« وما هي منحة ادامز ؟ »

« انها في الحقيقة ليست منحة ولكنا نسميها كذلك . فقد كان ادامز ضابطا من مخابرات البحرية وكان مسئولا عن يتامى الحرب في سابان . وقد اختار خمسة صبية ليتعلموا على نفقته الخاصة بشرط ان يدرسوا اللاهوت وفي مدرستنا منهم ثلاثة » .

« لقد مات والده وهو في الرابعة ومن ثم فهو لايكاد يذكره . ولكن هل مازا عن امه ؟ الا تستطيع ان تذكر لنا شيئا عنها ؟ »

« لقد كانت متفقهة تخرجت في جامعة طوكيو النسائية » ثم اصبحت مسئولة عن العاملات المشتغلات بالموانى والمحال التي كانت تديرها الشركة . ثم التحقت فيها بعد بالجيش واصبحت المديرة المسئولة عن احد مراكز الترفيه عن الضباط المسمى « دى واترى هون » لقد كان جميلة جدا مما جعلها محبوبة من النساء » .

وقالت ضابطة البوليس النسائي في استنكار « دى واترى هون ؟! » هل كان الفتى يمضي وقتا طويلا هناك ؟ » .

لا .. فانها كما سبق ان ذكرت كانت فائقة الحسن لديها الكثير مما يشغلها ومن ثم فهي لم تكن لتستطيع ان ترعاه فعهدت به الى احد رهبان « كاتاكا » كان يقيم في الجزيرة منذ ان كانت تحت حكم الالمان .

« فالولد اذن لم يقع تحت اى مؤثر ضار ؟ » .

« نعم .. فانه يجهل حتى تلك الاشياء التي يعرفها كل ولد في سنه . فهو مثلا لم ير فيلما سينمائيا قط وهو يجيد الكتابة ولكنه كان يحيا حياة مترمتة بدرجة غير عادية وكان ذلك كثيرا ما يقلقني عليه » .

ونظرت الضابطة الى اوراقها وقالت « ارى انه منح مائة درجة في السلوك ولكني اشك في انك تعلم انبا بالاضافة الى هذه الحادثة قد تلقينا تقريرات أخرى عن الغلام وهي لاتؤيد كمال سلوكه ففي ليلة ٣ مايو مثلا ارتدى الفتى ملابس فتاة «فستانا» بحريا وخمارا احمر . وكان يبيع السبورد في « الجزرا » وقد امسكت به احدى رميلاتي وحذرته ثم

وقف في نفس هذا الحي وعهد سيارة أجرة امام المستشفى في انتظار الجنود الذاهبين الى كوريا ليقلهم الى طوكيو . وكان يبدو كما لو كان قوادا . وبعد ذلك وجد محمورا يترنح من شدة السكر ـ وهناك تقرير آخر .. وجد متحولا في محطة اريا على شريط ساجامي في الساعة السادسة من صباح يوم ٨ اكتوبر وانقذ في الوقت المناسب من الموت تحت عجلات قطار الصباح .

ذكرت هذه الوقائع المشينة فجعلها سكون لا يقطعه الا عصف الرياح في العشب الجاف واخيرا حاولت الضابطة ان تسري عن المدرس فقالت « لقد عرفت الفتى لمدة طويلة وانا واثقة ان وضعك له مشجع الا انه يبدو ان اخلاقه قد تغيرت اخيرا .. انه يلبس ملابس نسائية او ان يسكر او يقلد القوادين . او يلعب بالنار في مكان ممنوع فيه اشعال اى لهب . الحوادث تختلف ولكن اساس كل هذه التصرفات كما يبدو لى واحد . هو التمرد على اى نوع من الحكم او القانون . لعل عقله مريض أو لعل احدى ذكرياته المفزعة تدفعه دون وعي ان يتصرف على هذا النحو . فهل تستطيع ان تذكر لنا شيئا يشير لنا الطريق في هذا المجال ؟»

وطاطأ المدرس رأسه في حزن وقال « لست متأكدا ان كان ما سأقوله يفيد التحقيق ولكن الفتى قد مر بتجربة مريرة . فقد حاولت امه ان تقتله اذ وجد محبوسا بحبل وملقيا تحت شجرة كبيرة على حصيرة شيميكاتا . وكان الحبل ملفوفا حول عنقه ثلاث مرات وقد عقد عقدة لا يمكن حلها . كما كان الحبل معلق بالصابون ليسهل انزلاقه . وذلك يشير الى ان الامر كله كان عن عمد وسبق اصرار . لقد عصيت امنا وادامر لذلك أشد الغضب مع اننا بالطبع كنا نعلم الدافع الحقيقي . وقد امضينا فترة طويلة في محاولة اعادته الى الحياة بالتنفس الصناعي ولم نكن متأكدين انه سيعيش حين نقلناه في سيارة « جيب » الى مستشفى الميدان . ولعلك تعلم ان ثلاثين الفا من اليابانيين المدنيين انتحروا في ذلك الوقت لاعتقادهم انهم سيقتلون على يد الامريكيين على أية حال .

كان الاباء والابناء يتعادون القنابل اليدوية وألقى البعض بأنفسهم الى البحر وقد تشابكت ايديهم ولكن كل هذه الجثث عثر عليها متحاورة ولست اعرف حالة أخرى وجدت فيها جثة لطفل وحدها » .

قال الضابط ليقطع الصمت الذي ساد حين لم ترد الضابطة ان تقطعه من جانبها « انها لقصة رهيبة ان مثل هذه الحادثة قد تؤثر على نفسية الطفل طوال حياته » .

وتململ المدرس في مقعده وقال « والآن هل استطيع أن أرى الفتى ؟ فانى أود ان أوجه اليه بعض الأسئلة » .

واشارت الضابطة الى باب الى اليسار وقالت « طبعا تفضل من هنا » .

جلس تارو على الارض في الحجرة الصغيرة المطلية المخصصة للاولاد الموضوعين تحت المراقبة وحين نظر الى السماء من خلال الشباك . ذكره ذلك بباب لقفص طيور واستعاد ايامه الاخيرة في سابان .

فالضوء الخافت والرائحة الرطبة ولون

السماء يقطع منه السماك مربعا صغيرا والسكون الثقيل المطبق وحسه المكدود . كل ذلك ذكره بالكهف في سنابان وسقف الكهف مغطى بالحشائش الرطبة تنمو عليه بعض الازهار الصغيرة وعلى السطح يفسح بيضاء من روث الطيور .

كانت فتحة الكهف الى الغرب فكان مظلما رطبا اعذب النهار ولكن حين يأتي المساء تصير الكهف شمس الغروب وتظهر وجوه الرجال والنساء المحتشدين في ثنايا وكانت هناك فتاة مراهقة نحيلة تارو العظام تلتقط حبات من الارز المنثور بين الصخور تمسح الطين بعناية عن كل حبة وتأكلها الواحدة تلو الاخرى وحلقها جدى يدير نظراته في خبل ويمد رقبه بالحشائش يمضغها في نهم فيسيل عصيرها الاخضر من جوانب فمه . ولكن هذه المناظر كانت سرعان ما يلفها الظلام فتختفي وهكذا يمر يوم آخر .

وقال تارو « لقد حان وقت احضار الماء » .

لقد كان يشعر هذه اللحظة منذ ان دخل الكهف مع امه، كان يجد لذة كبرى في ان يكون بجوارها طوال اليوم ، وان يخدمها . كان يتطلع الى وجه امه الجميل في انتظار ان تأمره ـ ان تعطي الاشارة في اى وقت .

ثم سمع امه تقول له « تارو اذهب واحضر لي ماء » فاهتز مرحا لسماع الصوت الحبيب .

انه ليفعل اى شيء من أجل امه ... كان السير على بعد مائة قدم من سطح الهضبة الشديدة الانحدار وكان مجرد النزول برجاجة فارغة يسبب الدوار أما ان كان صعود الاعداء على القمة فانهم يطلقون السهام فورا على أى جسم متحرك . ولكن تارو مع ذلك لم يكن ليحس اى شيء انه لا يحس بالخطر .

لقد كان تارو يحس بالرضى العميق بعمره وهو يقدم زجاجة الماء الى امه عيسى الجهد والمخاطر التي واجهها حتى استطاع أن يملأها .

ثم فكر، ترى كم كان عمري حينئذ؟»

وذات صباح تطلع الفتى الى امه فبدت له أجمل شيء في الوجود .. ومنذ تلك اللحظة اصبح عبدا لها . وكان أمله الوحيد أن يستأثر بحب امه كله . وألا يقاسمها أبدا لقد كان يمضي وقته يتطلع الى امه بشغف ليرى التغيرات المختلفة التي تظهر على وجهها وبدأ تارو يستعيد هذه الكلمات لنفسه وهو يحك رأسه في حائط ذاكرته المشمس .

« أيها المسافر اذهب الى لاسيديرم وقل اطاعة لأوامر الملك نرقد نحن هنا» فعندما اقتربت النهاية كانت امه قد علمته هذه الأبيات كررتها عليه سطرا سطرا حتى حفظته يحفظها .

« لاسيديرم هي اسبارتا ـ منذ ألفي سنة قاومت شرذمة من جنود اسبرطة الجيش الفارسي كله في مكان يسمى « ثرموبيل » حتى استشهدوا جميعا في المعركة ويقال ان نصبا يحمل تلك العبارة قد أقيم في مكان المعركة القديم « لقد كانوا شجعانا اولئك الجنود . اليس كذلك ؟ يجب ألا تنساهم»

كانت أمه تحاول أن تجعل من لحظاتها الأخيرة معه حلما لطيفا من التاريخ .

وهمس تارو ، لقد جاء دورنا أخيرا ، وتخيل نفسه لحظة الموت . كان الآباء والأمهات يمسكون بأيديهم ويلقون بأنفسهم من على الربوة أو يربطون أنفسهم معا بحبل ثم يدخلون الى البحر من الشاطىء وكانت جماعات صغيرة تموت هكذا كل يوم أمام عينيه . وفكر تارو في أن يدخل الماء وهو ممسك بيد أمه دون أن يخالطه أي حزن .

كانت شمس الأصيل تصبغ السماء بلون قرمزي وكان الجو ساكنا جميلا حين أخذت أمه الحبل وطلبت منه أن يصحبها الى خارج الكهف وقالت ، انك لن تستطيع أن تفعل ذلك أمام الناس ولذلك فسوف أقوم به في الخارج .

حتى هذه اللحظة لم يكن «تارو» قد فكر في الموت وحده ولكن حين علم انها تنوي شنقه استسلم وتبعها الى الربوة متظاهرا بالسرور والسعادة حتى يمنحها هي السعادة .

وخلعت الضابطة وأخرجت تارو من الحجرة المخصصة للمراقبين ، وفي الحجرة الأخرى وعلى مصطبة مغطاة بالسجاد في آخرها جلس المدرس الذي يعرفه تارو واصدقاؤه باسم سانت جون . كان سان جون من جزيرة اوكيناوا وكان مشرفا على مزارع قصب السكر في سايبان . وما أن وقع نظر المدرس عليه حتى بدأ في القاء مواعظه بطريقته المعروفة المتعمة . وبينما تارو يستمع اليه مغاظيء الرأس استقرت نظراته الزائغة على مسدس يتدلى من حزام شرطي كان يكتب على مكتب بجوار الحائط .

وفكر تارو ان هذا المسدس من نفس النوع ففي الكهف كان ملازم بحري صغير يسمح لتارو بلمس مسدسه .

قال المدرس ، لقد ارتديت ملابس الفتيات وكنت تبيع الورد في حي الحمرا وتعجب تارو انه لم يفعل ذلك سوى مرة واحدة فمتى يا ترى أخبر سانت جون بذلك ؟ أتكون الضابطة التي أمسكت به ؟ أم انه يأتي من السنة الثانية فصل (أ) الذي أعاره الملابس ؟ .

ثم أكمل سانت جون حديثه ، يبدو انك لا تستسيغ فكرة التعليم على نفقة الغير . ولذلك فقد فكرت في ان تلبس ملابس الفتيات وتبيع الورد ؟

وهمس تارو لنفسه قائلا ، هذا خطأ لقد كان فعلا يرتدي ملابس بائعة ورد لكن لم يكن يبيع الورد ، الحمد لله ان سانت جون لم يعرف شيئا ، .

كان تارو قد سمع في هونولولو ان امه تدير بارا ( حانة ) في الحمرا لذلك بحث في الليلة الاولى لوصوله الى طوكيو عن هذا البار حتى وجده . ولكن لم يكن مسموحا بالدخول فيه الا لبائعات الورد أو عازفي الآلات الموسيقية وكل الناس يعرفون ذلك — وهكذا في مساء أحد أيام الأحد ارتدى تارو الملابس التي استعارها ودخل البار في هذه الليلة ما بين الساعة الثامنة والعاشرة خمس مرات لم يكن هناك رواد كثيرون وكانت أمه منحرفة المزاج .

وتهرته بغضب — ، انت لوح حقا ، اليس كذلك ؟ كم مرة جئت هنا ،

لا يوجد هنا من يهتم بالزهور . وفي احدى هذه المرات أمسكت احدى خادمات الخانة بياقة فستانه البحري وطردته الى الخارج ولكنه مع ذلك دخل ثانية .

قطع ساعات جون افكار تارو مرة اخرى وقال : ـ كنت تأخذ القادمين من كوريا الى طوكيو يوم السبت من كل اسبوع بسيارة أجره . لا شك ان ذلك كان يناديك بربح وفير ولكنه شيء محزن حقا أن تستعمل معلوماتك في القصة الانجليزية في هذا العرض الحقير » .

وقال تارو لنفسه « انك لم تفهمني كذلك هذه المرة اني لم أكن احاول ان أربح مالا لنفسي ان بار والدتي كان قليل الرواد واردت ان احضر لها بعض الزبائن لتحسين الأمور .

لقد كان تارو يحاول ان يساعد امه دون ان تعلم ولكنه كان يرتكب بذلك غلطة كبيرة .

في السبت الأول من شهر أكتوبر ذهب تارو الى خانة مجاورة لمعسكر عسكريين كانت ملتقى سائقي سيارات الأجرة ، ذهب ليبحث عن سيارة اذ قال له سائق « صديق » ان صاحبة البار الذي تتكلم عنه هي أمك اليس كذلك ؟ انك لولد بار جدا ولكن أتعلم ايها الفتى الصغير ماذا تعمل أمك مع الرجال الذين تحضرهم انت لها ؟ ونفى تارو صامتا .

ان كنت لاتعلم فسوف أريك .

ثم استدعى سائقا آخر واطلع تارو على الحقيقة المرة .

وفي تلك الليلة عاد تارو متأخرا الى عبر النوم في المدرسة وارتمى على فراشه تخنقه العبرات ويعتصره الأسى . ان امه لم تعد هي امه . لقد أصبحت امرأة مجرد امرأة وفجأة عاد تارو الى رشده . انه لا يريد أن يبقى في هذه الدنيا أكثر من ذلك ، لا بد أن يموت في تلك الليلة .

واخرج تارو صور امه وخطاباتها القديمة وعرقها اربا اربا ثم القى بها في بالوعة المطبخ وتلفت حوله في الحجرة وتساءل « اليس عليه ان يعمل شيئا قبل أن يمضي ؟ لا لم يعد بعد من شيء .

ثم قال تارو لنفسه « وماذا يهم ان كان يوجد شيء اذا لم يكن لي غد » لم يبق له ما يفعله سوى أن ينام قليلا قبل أن يمر الصباح ... وارعبه خاطر قصر الحياة هكذا .

واردف ساعات جون قائلا ...

وتمادى طيفا في طريق الشر ويظهر انك مشيت وانت سكران على شريط سكة حديد ساجامي وكدت أن تقتل .. لم أكن اتصور ان تتحدر لدرجة السكر » .

وفكر تارو ثانية .. « صحيح وخطأ انا لم أشرب خمرا قط ولكن من الخاطر اني كنت مخمورا لقد كنا قرب الفجر . وقد أضيئت الأنوار الكهربائية على الرصيف الموصل لباب المحطة . وكان ذلك يعني أن قطار الصباح على وشك المرور في اي لحظة وخلعت معطفي والقيته على العشب واستلقيت ممدد الجسم وسط القضبان انتظار أن يدهسني القطار ولكن القطار لم يمسني وسمعت

عامل « الدريسة » الذى انقذنى يقول لناظر المحطة « لو كان مرتديا معطفه لتعلق بشبكة القطار وكان القطار قد دهسه . لكنه كان بدون معطف . مرتديا قميصه فقط وقد انقذه ذلك » .

ولكن تارو كان مازال مصمما على الموت فى احدى ليالى الخريف سرق بعض الكيروسين من المطبخ وخرج الى الحقوق خلف عنابر النوم وذلف الى المخبأ المهجور وصب الكيروسين على نفسه

هذا

وحاول عدة مرات قبل أن يفلح في اشعال عود ثقاب في أكمامه ولكنه كان لهبا ضعيفا ، فلم يكن للكبريت الحديد نفس قابلية الكبريت القديم للاشتعال ، لذلك فسرعان ما اطفأتها الرياح لكنه استمر في محاولات يائسة لاشعال النار في أجزاء مختلفة من ملابسه لكنها كانت تدخن ولا تشتعل وأخيرا حين جاءوا يستطلعون الأمر وجدوه مغشيا عليه يكاد يخنقه الدخان .. لماذا اشتعلت النار في المعدات الحربية لأمريكا ؟ ، ان رجال الشرطة يقولون انهم سوف يطلقون سراحك اذا قلت لهم الحقيقة والا فانك ستعاقب .

لم يكن يعلم تارو وجود تلك المعدات لم انه فشل حتى في اشعال النار في نفسه ، فجاء صرخ تارو ، اقتلوني — اقتلوني .. ، .

فصرخ فيه سانت جون «اسكت» ، اسكت ،

ثم وقف وغادر الحجرة في عجلة كما لو كان قد تيقن من جنون تارو .

ودخل الحجرة ضابط بوليس شاب حلع حرامه وبه المسدس في قرابه والقى بها على المصطبة . ثم استلقى بجوارها واغمض عينيه ، وتفحص تارو السلاح مهددا — أما الضابط الآخر فانه كان يواصل الكتابة مديرا ظهره الى تارو .

« اني أستطيع الآن ان افعل ماأريد » وتحرك بحذر الى جوار الرجل النائم واخرج المسدس من قرابه بسرعة وارجع ضابط الأمان . ثم وقف وضغط على الزناد .. وتطاير الطلاء من الحائط المقابل وصرخ الضابط الشاب وتدحرج من المصطبة الى الأرض ، وتكوم الى جانب المكتب — أما الشرطي الآخر فقد ارتمى خلف المكتب وأخرج مسدسه واطلق النار على الفتى حامل السلاح المطلق .

واحس تارو كما لو كان قد ضرب بقضيب من الحديد في صدره . فاستند الى الحائط خلفه واطلق انة طويلة وفجاة امتلأت عيناه بالدموع وسقط على وجهه